

الجدور السياسية والدينية للتطرف تحاصر القارة الأفريقية

حيوية القرن الأفريقي تجذب المتطرفين لتحقيق هيمنة إقليمية وتأثير دولي



الصومال الملاذ الجديد للتطرف

يصعب فصل التنافس الكبير والمحتدم بين القاعدة وداعش، عن الاهتمام الواسع بمنطقة القرن الأفريقي الحيوية. فكل طرف يبحث عن تعزيز تواجه على حساب الآخر. أكدت أوكيوو أن تنظيم القاعدة ممثل بالفعل في حركة الشباب بالصومال، ويبحث داعش عن موضع قدم في تلك البؤرة الخصبة، بالتالي تزداد المنافسة والتكالب على المنطقة، مصحوبة بابعاد أيديولوجية وفكرية أكثر منها مادية. وأضافت أن داعش نجح في هزيمة القاعدة وتهيمش في مناطق عديدة، بعد أن سرق الأضواء منه بوضع القاعدة كـ"تنظيم أم" في خاتمة المرض والمنتحي الولاية تقريبا. وساهمت الترسانة الإعلامية المتخمة في جذب المئات من أنصار القاعدة لصالح داعش. مع توالي هزائم القاعدة انتعش داعش، وأضحت منطقة القرن الأفريقي، والصومال تحديدا مجالا خاضعا له. يخوض التنظيم الأول معركة وجود وسيطرة ضد داعش، الذي يرغب في تفرغ الساحة بالكامل من منافسة أو، على الأقل التواجد دون منافسة حادة من تنظيمات جهادية. لكن يبقى الهدف الأهم مقربا بالرغبة في التمدد الجغرافي في مناطق تكثف بالسرعات.

تكرت أوكيوو أن العامل الجغرافي يلعب دورا مهما، وقرب القرن الأفريقي من النزاع في اليمن ضح المزيد من فرص التجنيد وتغلغل الأفكار المتشدة، ما يعني تزايد خلايا داعش في دول المنطقة وإمدادها بعناصر جديدة، وكلها عوامل تهدد الأمن والسلم في المنطقة. تضي منطقة البحر الأحمر المساعدة أهمية كبيرة على الصراع، خاصة أن داعش منذ نشأته يميل إلى الظهور كلاعب دولي يقدم ضربات لها صدق دولي بشكل عام، وإحدى الوسائل التي يرمي إليها ضرب خطوط الملاحة والتجارة البحرية في البحر الأحمر. وتكثفت المؤلقة أن تواجد التنظيمات المتطرفة في شرق أفريقيا بغزارة أكبر عن غربها له أبعاد خطيرة، بينها تهديد الوضع الاقتصادي العالمي والتأثير على مصالح استراتيجية لقوى إقليمية ودولية في منطقة القرن الأفريقي، لاسيما في جيبوتي التي تعج بقواعد عسكرية غربية. ورات أوكيوو أنه من الصعب التكهن بمستقبل التمدد المتشد في القارة الطبيعية أفريقيا المعقدة، قائل "أفريقيا ليست لها آلية موحدة في المواجهة، والتاريخ خير شاهد على ذلك، فقد أصبح الحاضنة الجديدة لأنماط التطرف حول العالم، وربما يكون مصر الجماعات المتشدة متشابها مع صير فقات ظهرت في السابق، مثل حركة "أنتي بالكا" في أفريقيا الوسطى، حيث اختلفت الحركة مع أيديولوجيا الجماعات الجهادية، لكنها اتفقت في إرهاب الناس، وخلقة روابط الإرهابيين فوق بقاء الأوطان. انتهت بالفشل والاندثار.."

أمام النزعة الدينية المتطرفة، والثاني حاول فهم الرغبة الكبيرة التي جعلت القارة قبلة رئيسية لجماعات راديكالية. وقالت أوكيوو إن توسع نطاق التشديد في أفريقيا يظهر في أشكال تعزيز تجنيد العناصر المحلية وتأسيس جماعات صغيرة بالمدن والقرى، وتكثيف العنف والعمليات الإرهابية لترويع المواطنين. تنقلت المؤلقة بين دول عدة في شرق ووسط وغرب أفريقيا، غير أن بحثها الميداني وضع شرق أفريقيا المطل على المحيط الهندي في المقام الأول كأكثر المناطق نموا للتطرف. قسمت أوكيوو الأسباب إلى ثلاثة ملفات رئيسية، الأول ركز على سهولة الموارد الطبيعية والثروات، مثل حقول النفط والمناجم لضعف المنظومة الأمنية انتصار على القاعدة ومناصريها من حركات محلية قديمة، والثالث اهتم بالقيمة السياسية والاستراتيجية للمكان.

ولفتت إلى أن المصادر المالية في تلك المنطقة تتركز في سهولة الاستحواذ على الموارد الطبيعية والثروات، مثل حقول النفط والمناجم لضعف المنظومة الأمنية في أغلب الدول الموجودة في منطقة شرق أفريقيا.

شرقها كبديل مناسب وحيوي لإنعاش آمال الجهاديين. كشفت أوكيوو عبر رحلاتها المستمرة، وتجوّلها بين مقديشو وبلاد بونت وإقليم كيسمايو على مدار عام، أن تلك المنطقة الأهم والأكثر نفوذا للتنظيمات الإرهابية لأسباب عدة أبرزها، اضطراب الأوضاع الأمنية، وانتشار الإسلام كدين لغالبية شعوبها، والموقع الجغرافي المتميز، وارتفاع الفقر المدقع وعجز الحكومات عن فرض السيطرة والأمن والاستقرار. يقول مراقبون إن الأيدي الخارجية تزيد من فاعلية وحراك التطرف في الصومال، مع وجود شبهات قوية ظهرت عبر تسريبات لمسؤولين قطريين أكدت دعم حركات متطرفة محلية في الصومال لضرب مصالح اقتصادية وسياسية لقوى إقليمية منافسة.

لماذا شرق أفريقيا

ينقسم كتاب "سما بلا قمر ولا نجوم.. نساء ورجال عاديون يكافحون التطرف في أفريقيا" إلى جزئين. الأول خصصته المؤلقة لشرح السياق العام لطبيعة ونشأة المقاومة الأفريقية

المالية لداعش كشف عن حالة أفريقيا كبنية حاضنة للتشدد بشكل أوضح. كان الظهور الأول لتنظيم داعش في منطقة القرن الأفريقي في أكتوبر عام 2015، وتزامن ذلك مع تمده في إطار استراتيجيته التي ارتكزت على زيادة رقعته الجغرافية على أوسع نطاق في آسيا أيضا. ظهر التنظيم في الصومال أولا مستغلا التدهور في ربوعه، والغليان والانقسام داخل حركة الشباب التي أعلنت تأييدها لتنظيم القاعدة، ثم انشق جناح منها وأعلن ولاءه لداعش.

ولفتت أوكيوو إلى أن داعش حرص على خلق كيانات موالية له في منطقة القرن الأفريقي هدفها الرئيسي التجنيد، والتغلغل في المناطق الفقيرة في جنوب الصومال وشمال كينيا وغرب الكونغو وموزمبيق، وهي بؤر تعج بالفقر والجهل وتنتشر فيها جاليات مسلمة تشعير بالاضطهاد.

ورغم إخفاقات فرع تنظيم داعش في كل من سوريا والعراق وسيناء بمصر، ظل المد الدعشي في أفريقيا مزدهرا، وتلك خصوصية فريدة جعلت قادتهم يتجهون نحو القارة، ويركزون على

ضاعفت تنظيمات جهادية من قدراتها للتواجد بكثافة في ربوع القارة الأفريقية، وتُدشّن بؤر ملتهبة تزيد من معاناة الشعوب وتهدد استقرارها وتعيد الحيوية للعمليات الإرهابية. ورغم صعوبة التكهن بمستقبل حراك المتطرفين، إلا أن البعض من الخبراء قارنوا بين مصير حركات أفريقية متشددة سابقا وأخرى حالية، لأنها اختلفت في الأيديولوجيا وفي النشاط، لكنها تشابهت في الظروف والطبيعة، ومرجح أن تنتهي إلى الأندثار أمام خصوصية شعوب أفريقيا.

أوكيوو لـ"العرب" إن التشريح السياسي والاجتماعي والديموغرافي للقارة يكشف حجم معاناة السكان، ورغبتهم الدينية في مقاومة التشدد، رغم ضعف الإمكانيات التعليمية والمادية.

وأضافت "تمتع دول أفريقيا بخصوصية عن غيرها من الدول خارجها في مواجهة الإرهاب، فهي قارة تمتد فيها جذور العنف الديني والقبلي منذ مئات السنين، وأنتج ذلك بيئة خصبة للتطرف على مستوى الأديان والأعراق".

قامت أوكيوو برصد التشابهات بين الدول التي زارتها، وجمعت في النهاية لوحة أو خارطة كبيرة أشبه بالفسيخس، بعد أن وضعت أحجارا صغيرة من الطروحات السياسية والفكرية في تجاور لتكشف الشكل السلبي الذي تدار به القارة.

تمازج وتجانس

أوضحت أن العنف في أفريقيا لا يقترن فقط بالجماعات الدينية المتشدة المنتهية إلى الإسلام، لكن توجد حركات متطرفة تتغذى على الجهل المتفشي في دول عديدة بالقارة.

وفي أوغندا مثلا ظهرت ميكرة جماعة مسيحية متطرفة اسمها "جيش الرب للمقاومة" بزعامة جوزيف كوني، وتخصصت في إشاعة الفوضى في المنطقة عبر الخطف وإثارة الرعب، واستتمرت المساحات الشاسعة من الأراضي التي يصعب السيطرة عليها، واتخذت من جنوب السودان مركزا لنش هجمات على شمال أوغندا.

قدمت دراسة أوكيوو أمثلة على التفسير المحدود والمدفوع بمصالح ذاتية للنصوص المقدسة في العموم، بداية من تطرف "جيش الرب" الأوغندية، ومرورا بالبربر المرعوم للرق من خلال النصوص الإسلامية في موريتانيا، وصولا إلى التطرف الإسلامي الحالي لحركة الشباب الإسلامية في الصومال، ويوكو حرام في نيجيريا.

وأوردت المؤلقة في دراستها عن التطرف في القارة، أن البعض يركز على حركة الشباب الصومالية باعتبارها التنظيم الراديكالي الأقدم والأكثر تأثيرا في أفريقيا، إلا أن تطور التنظيمات



محمود زكي
كاتب مصري

تواصل التنظيمات المتشدة تمددها في قارة أفريقيا، وتواترت مؤخرا تحذيرات متتابعة تنبه لخطورة تحول بعض دولها إلى بؤر جاذبة لعناصر إرهابية كثيرة، على رأسها تنظيم داعش كي تصبح القارة أرضا خصبة وحاضنة لأصحاب الأفكار المتطرفة.

من الدلائل المقلقة مؤخرا، قيام إثيوبيا في 21 سبتمبر بضبط خلية إرهابية تابعة لتنظيم داعش، بين عناصرها شخص يدعى محمد عبدالله قيادي إقليمي من التنظيم، ما يعني أن المسألة بدأت تتجاوز حدود الصومال.

يسلط السعي الحديث لاختراق إثيوبيا، وقبلها الصومال وكينيا وليبيا وتغولها في تشاد، الضوء على ضرورة وجود تحرك دولي سريع قبل أن تتحول بعض دول القارة إلى مناطق نشطة للإرهاب، وهو ما أكدته الكاتبة الأميركية من أصل نيجيري، الكسيس أوكيوو في حوارها مع "العرب" مرجحة ضرورة التدخل السياسي السريع لحماية الأهالي والفقراء في شرق وغرب أفريقيا من الأثر الذي خلف التشدد، ومواجهة التفكير الراديكالي.

رغم إخفاقات داعش في سوريا والعراق وسيناء بمصر، ظل المد الدعشي في أفريقيا مزدهرا، وتلك خصوصية فريدة جعلت التنظيم يتجه نحو القارة، ويركز على شرقها

وضعت أوكيوو كتابا بعنوان "سما بلا قمر ولا نجوم.. نساء ورجال يكافحون التطرف في أفريقيا" مؤخرا، وتناولت فيه خلاصة جولات ميدانية عميقة في بلدان أفريقية عدة، اخترقتها تنظيمات دينية متشدة من الصومال وموريتانيا ونيجيريا وأوغندا. وقالت

رئيس الشؤون الإسلامية بتشاد: الحركات الإرهابية تتجه صوب أفريقيا

80 عالما أزهريا يبذلون جهودا في توعية الشباب، بجانب جهود متواصلة تتعلق بتأهيل الأئمة في تشاد على مواجهة الفكر المتشدد. وتأسس في "إنجامينا" عاصمة تشاد، مركز للاديان يدعم قيم المواطنة والتعايش السلمي مع المسيحيين ويعمل على التأكيد على قيم الوحدة الإنسانية باعتبارها صيدا منيعا أمام ولوج الأفكار المتطرفة، وحاجزا مئينا لمواجهة مشاعر الحقد العرقي واستباحة دماء غير المسلمين. ويؤكد عيسى أن دول الساحل والصحراء باتت مستهدفة من الجماعات المتطرفة ولديها خلايا ناشئة لجماعات متشدة تنتظر الفرصة لتظهر وتروج أفكارها المغلوطة بين الشباب وتضلهم بمفاهيم خاطئة. وتشكل دول مجموعة الساحل والصحراء، وبوركينا فاسو ومالي

تدحض أفكار الجماعات المتشدة ودعم مؤسسات الإفتاء في الدول العربية، وأن ترسل الأخيرة دعاء متميزين لتأهيل الأئمة الأفاقة وتدريبهم على فقه الواقع ومحاصرة الفكر المتشدد وتحسين الشباب وتوعيتهم. وتخطى خطط مواجهة التطرف في القارة الأفريقية بدعم الدول الخليجية، وظهر ذلك في المشاركة الفاعلة للدكتور محمد مطر الكعبي رئيس هيئة الشؤون الإسلامية والدكتور عبداللطيف آل الشيخ وزير الدعوة والشؤون الإسلامية بالسعودية، في مؤتمر عقده وزارة الأوقاف المصرية مؤخرا، أوصى بيانه الختامي بـ"دعم المؤسسات الدينية بالقارة السمراء وتنسيق الجهود في مجال تأهيل أئمتها".

دول الساحل والصحراء باتت مستهدفة من الجماعات المتطرفة ولديها خلايا ناشئة لجماعات متشدة تنتظر الفرصة لتظهر وتروج أفكارها المغلوطة بين الشباب وتستغل عاطفتهم وتضلهم بمفاهيم خاطئة. عرضتها المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا "إيكواس" مؤخرا. وتمتلك تشاد حدودا واسعة مع دول عدة، حيث أصبحت أكثر أعضاء الساحل والصحراء تعرضا لمخاطر الهجمات المتطرفة، من ليبيا التي ينشط في جنوبها تنظيم داعش ونيجيريا التي تشهد نشاطا ملحوظا لحركة "بوكو حرام"، إلى النيجر ومالي اللتين تشهدان تواجدا لجماعة "أنصار الدين"، وتسعى حكومتها إلى الجمع بين المواجهة الأمنية والفكرية لتجفيف منابع التطرف وحماية الشباب من الأفكار المنحرفة. واعترف محمد خاطر عيسى رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غرب أفريقيا باستغلاله ككتاب منفردة تتخفى في بين السكان، أو إعادة تمركز العناصر التي تعرضت لتضييق الخناق في أماكن أخرى، ما يتطلب جهودا للمواجهة. وتتبين هيئات الأوقاف الإسلامية رسمية خطة لتأهيل الدعاة الأفاقة للقيام بدور أكبر للحد من خطورة المتشدين حيث أسفرت هجماتهم عن مقتل 11 ألف شخص في بوركينا فاسو ومالي والنيجر خلال أربعة أعوام، وهو ما أكدته إحصائيات

دول الساحل والصحراء باتت مستهدفة من الجماعات المتطرفة ولديها خلايا ناشئة لجماعات متشدة تنتظر الفرصة لتظهر وتروج أفكارها المغلوطة بين الشباب وتستغل عاطفتهم وتضلهم بمفاهيم خاطئة.

نادر أبو الفتوح
كاتب مصري



القاهرة - تسعى الجماعات المتطرفة إلى إعادة تمركز عناصرها في منطقة الساحل والصحراء في أفريقيا، بعد تضييق الخناق عليها في مناطق أخرى، بينها الشرق الأوسط، وتلعب على وتر الصراعات القبلية والعرقية واستغلال عاطفة الشباب التي تتطلب مواجهة لا تقتصر على التحركات الأمنية. تعتبر الجماعات المتطرفة منطقة الساحل والصحراء في وسط وغرب أفريقيا بيئة خصبة لتجنيد الشباب واستغلالهم ككتاب منفردة تتخفى في بين السكان، أو إعادة تمركز العناصر التي تعرضت لتضييق الخناق في أماكن أخرى، ما يتطلب جهودا للمواجهة. وتتبين هيئات الأوقاف الإسلامية رسمية خطة لتأهيل الدعاة الأفاقة للقيام بدور أكبر للحد من خطورة المتشدين حيث أسفرت هجماتهم عن مقتل 11 ألف شخص في بوركينا فاسو ومالي والنيجر خلال أربعة أعوام، وهو ما أكدته إحصائيات